توزع مجاناً
الوارث
٢٧
نشرة شعرية تعنى بمباحث العلوم الشرعية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة
ربيع الثاني ١٤٣٢هـ
آذار ٢٠١١م
السلام عليها
فاطمة

٢ قطوف دانية من السيرة الحسينية
خطبة الإمام الحسين عليه السلام في منى

٤ شبهات حول القرآن
التفسير -الحلقة الأولى-

٦ على ضفاف نهج البلاغة
مفهوم التقوى في نهج البلاغة

٨ مدارات فكرية في مدرسة العترة النبوية
ذو الوجهين واللسانين في كلمات أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم

١٠ أخلاقك هويتك
أجناس الرذائل وأنواعها-الحلقة الثالثة-

١٢ مباحث عقائدية
الإمامة -مفهومها وشروطها وصفات الإمام
بين الشيعة وأهل السنة-

١٤ أعلام الشيعة
هاشم المرقال صاحب أمير المؤمنين عليه السلام

١٦ معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم
معاجز أمير المؤمنين عليه السلام

١٧ عبر من التاريخ
إهتزاز الضمير من الأعماق

١٨ شؤون الأسرة
العوامل المؤدية الى تكوين السلوك التعقلي عند الطفل

٢٠ معارف عامة
توجد كواكب حول النجوم الأخرى

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الإلكتروني
محمد رزاق صالح

التصميم والإخراج الفني
احمد محسن المؤذن
السيد علي ماميثة

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
-وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩: ١٢١١

افرح واحزن

لعل عنوان الكلمة يثير حب الاستطلاع في عقل القارئ الكريم، فيتساءل في داخله عما يريده كاتب هذه السطور، وهل في هذا العنوان أمر بالجمع بين المتضادين؟

مما لا شك فيه أن المسلم المنصف الذي يحتكم إلى الموازين الشرعية سيعيش الفرح والحزن بعد أن يطلع على أحداث هذا الشهر الذي نحن فيه ألا وهو شهر ربيع الثاني من السنة الهجرية فاليك جواب اللغز الذي في العنوان.

في هذا الشهر جرت وقائع وأحداث تبعث على الحزن وأخرى تدخل السرور في القلوب وهي الآتي ذكرها:

* في اليوم الأول: هنالك رواية تشير إلى شهادة الإمام الباقر عليه السلام الذي ملأ الدنيا بعلم لا غنى للخلق عنه فهذا مما يبعث الحزن في القلوب لاسيما إذا علمنا بأن الفقيد هو إمام معصوم من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قضى مسموماً على يد طاغية عصره من بني أمية.

* في اليوم السادس: يوم يسر النفوس ألا وهو موت هشام بن عبد الملك الطاغية الأموي الذي قتل الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وزيداً الشهيد رضي الله عنه.

* في اليوم الثامن: هو بزوغ نور من أنوار أهل البيت عليهم السلام ألا وهو ولادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهذا مما يبعث السرور في القلوب ويدعو إلى الاحتفال بهذه الذكرى العطرة لموافقتها لذكرى شهادة جدته فاطمة عليها السلام على رواية.

* في نفس اليوم: هنالك رواية تشير إلى شهادة السيدة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام؛ إذ إن هذه الرواية تقول بأن السيدة الزهراء عليها السلام فارقت الدنيا بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأربعين يوماً. وهذا هو الحزن الكبير الذي يعتصر القلوب بشهادة سيدة نساء العالمين وأم أبيها، ولكن لكي لا يحصل الجمع بين المتضادين نقول اننا نفرح لولادة الإمام العسكري كما تفرح جدته الزهراء بذلك، ونحزن لشهادتها كما يحزن ولدها العسكري عليه السلام لذلك.

* في اليوم العاشر منه: في هذا اليوم ذكرى رحيل معصومة آل البيت عليهم السلام فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام، هذه البضعة التي من زارها عارفاً بحقها دخل الجنة، وقد وافاها الأجل على مشارف مدينة قم فتقدست المدينة بقبرها الشريف.

* في اليوم الثاني عشر منه: انقراض الشجرة الملعونة في القرآن، ألا وهو حكم بني أمية على يد العباسيين.

* في اليوم الرابع عشر منه: قام ناصر أهل البيت المختار الثقفي بثورته للاقتصاص من قتلة الإمام المظلوم الحسين عليه السلام.

المشرف العام

ولم يـزل عليه السـلام يطلـب الفرصة لانهاض المسلمين وايقاظهم وتحذيرهم من امارة يزيد:

روى سليم بن قيس أنه لما كان قبل موت معاوية بسـنة حج الحسـين بن علي صوات الله عليهمـا وعبدالله بن عبـاس وعبدالله بن جعفر معه فجمع الحسـين عليه السلام بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم ومن الأنصار ممن يعرفه الحسـين عليه السلام وأهل بيته ثم أرسـل رسـلاً «لا تدعوا أحداً ممن حج العام من أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وآله وسـلم المعروفـين بالصلاح والنسـك إلاّ اجمعوهـم لـي»، فاجتمع إليه بمنـى أكثـر مـن سـبعمائة رجـل وهـم في سـرادقه، عامتهـم مـن التابعـين ونحو من مائـتي رجل من أصحـاب النبي صلى الله عليه وآله وسـلم، فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال عليه السلام:

«أمـا بعد فإنّ هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم وإني أريـد أن أسـألكم عن شـيء، فـإن صدقت فصدّقونـي وإن كذبت فكذبوني، وأسـألكم بحـق الله عليكـم وحـق رسـول الله صلـى الله عليـه وآلـه وسـلم وقرابتي مـن نبيكم لمّـا سـيّرتم مقامي هـذا ووصفتـم مقالتي ودعـوتم أجمعين في أمصاركـم من قبائلكم من آمنتم من الناس».

وفي روايـة أخـرى بعد قولـه فكذبوني: «اسمعـوا مقالتي واكتبـوا قولي ثم ارجعوا إلى أمصاركـم وقبائلكـم فمـن آمنتـم مـن الناس ووثقتم بـه فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا فإني أتخوّف أن يدرس هذا الأمر ويذهـب الحق ويغلـب، والله مُتم نـوره ولو كره الكافرون».

وما ترك شـيئاً ممـا أنزل الله فيهم من القرآن إلاّ تلاه وفسـره ولا شـيئاً مما قاله رسـول الله صلـى الله عليه وآله وسـلم في أبيـه وأخيه وأمه وفي نفسـه وأهـل بيته إلاّ رواه، وكل ذلـك يقول أصحابـه: اللهم نعم، وقد سمعنا وشـهدنا، ويقـول التابعي اللهم قـد حدّثـني بـه مـن أصدّقـه وأءتمنـه من الصحابـة، فقال: «أنشـدكم الله ألا حدّثتم به من تثقون به وبدينه».

قال سـليم فكان فيما ناشدهم الحسين عليه السلام وذكرهم ان قال:

«أنشدكم الله أتعلمون أن علي بن أبـي طالب كان أخا رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم حـين آخـى بـين أصحابه فآخـى بينـه وبـين نفسـه، وقـال أنت أخـي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة»؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: «أنشـدكم الله هـل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشترى موضع مسجده ومنازله فابتناه ثم ابتنى فيه عشـرة منازل تسـعة له وجعل عاشـرها في وسـطها لأبـي، ثم سـدّ كل باب شـارع إلى المسـجد غير بابـه فتكلم في ذلـك من تكلم فقـال: ما أنا سـددت أبوابكـم وفتحت بابه ولكـن الله أمرني بسـد أبوابكـم وفتح بابه، ثم نهى الناس أن يناموا في المسـجد غيره، وكان يُجنـب في المسـجد ومنزلـه في منـزل رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوُلد لرسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم وله فيه أولاد». قالوا: اللهم نعم.

قـال: «أفتعلمـون أن عمر بـن الخطاب حرص على كـوّة قدر عينه يدعها في منزله إلى المسـجد فأبـى عليـه، ثم خطـب فقال إن الله أمرنـي أن أبـني مسـجداً طاهراً لا يسـكنه غيري وغـير أخي وابنيـه»؟، قالوا: اللهم نعم.

قال: «أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم نصبه يوم غدير خـم فنادى له بالولاية، وقال ليبلغ الشـاهد الغائب»، قالوا: اللهم نعم.

قال: «أنشـدكم الله أتعلمون أن رسـول الله صلـى الله عليـه وآلـه وسـلم قال له في غـزوة تبوك: أنـت مـني بمنزلـة هـارون مـن موسـى، وأنـت ولي كل مؤمـن بعدي»؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: «أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين دعا النصارى مـن أهل نجـران إلى المباهلة لم يـأت إلاّ به وبصاحبته وابنيه»؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: «أنشدكم الله أتعلمون أنه دفع إليه اللـواء يوم خيـبر ثم قال لأدفعـه إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، كرار غـير فرار يفتحهـا الله على يديـه»؟ قالوا:

اللهم نعم.

قال: «أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تنزل به شدة قطّ إلا قدّمه لها ثقة به، وأنّه لم يدعه باسمه قطّ إلا أن يقول: يا أخي وادعوا لي أخي»، قالوا: اللهم نعم.

قال: «أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى بينه وبين جعفر وزيد فقال: يا علي أنت مني وأنا منك وأنت ولي كل مؤمن بعدي»، قالوا: اللهم نعم.

قال: «أتعلمون أنه كانت له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل يوم خلوة، وكل ليلة دخلة إذا سأله أعطاه، وإذا سكت أبداه»؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: «أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضّله على جعفر وحمزة حين قال لفاطمة عليها السلام: زوجتك خير أهل بيتي، أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً»؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: «أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أنا سيد ولد آدم، وأخي علي سيد العرب، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة والحسن والحسين ابناي سيدا شباب أهل الجنة»؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: «أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره بغسله وأخبره أن جبرئيل يعينه عليه»؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: «أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في آخر خطبة خطبها: إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، فتمسكوا بهما لن تضلوا»؟ قالوا: اللهم نعم.

فلم يدع شيئاً أنزله الله في علي بن أبي طالب عليه السلام خاصة وفي أهل بيته من القرآن ولا على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلا ناشدهم فيه فيقول الصحابة: اللهم نعم قد سمعنا، ويقول التابع: اللهم قد حدثنيه من أثق به فلان وفلان، ثم ناشدهم أنّهم قد سمعوه يقول: من زعم انه يحبني ويبغض علياً فقد كذب ليس يحبني ويبغض علياً، فقال له قائل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: لأنه مني وأنا منه، من أحبه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، فقالوا: اللهم نعم، قد سمعنا وتفرقوا على ذلك.

وفي رواية أخرى: فلما كان قبل موت معاوية بسنتين حجّ الحسين بن علي عليهما السلام وعبد الله بن جعفر، وعبدالله بن عباس معه، وقد جمع الحسين بن علي عليهما السلام بني هاشم ورجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم من حجّ منهم ومن لم يحجّ، ومن بالأمصار ممن يعرفونه وأهل بيته، ثم لم يدع أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أبنائهم والتابعين ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلا جمعهم، فاجتمع إليهم بمنى أكثر من ألف رجل والحسين بن علي عليهما السلام في سرادقه عامّتهم التابعون وأبناء الصحابة.

فقام الحسين عليه السلام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد فإن هذا الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم وإني أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، من أمنتم ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون فإني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب والله متم نوره ولو كره الكافرون».

فما ترك الحسين عليه السلام شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلاّ قاله وفسّره، ولا شيئاً قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أبيه وأمه وأهل بيته إلا رواه، وكل ذلك يقول الصحابة: اللهم نعم قد سمعناه وشهدناه، ويقول التابعون: اللهم قد حدّثاه من نصدقه ونأتمنه، حتى لم يترك شيئاً إلا قاله. ثم قال عليه السلام: «أنشدكم بالله إلا رجعتم وحدثتم به من تثقون به». ثم نزل وتفرق الناس عن ذلك[1].

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٧٠ – ٢٧٤.

التفسير الحلقة الأولى

التفسير بمعناه اللغوي

التفسير في اللغة البيان والكشف في القرآن الكريم بهذا المعنى. قال تعالى:

((وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا))

فتفسير الكلام. أي كلام. معناه الكشف عن مدلوله وبيان المعنى الذي يشير إليه اللفظ.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نطرح السؤال التالي: هل أن بيان المعنى الظاهر من اللفظ الذي يتبادر منه يُعَدّ تفسيراً بحيث يصدق لفظ التفسير بمعناه اللغوي أو لا؟

فهناك اتجاه يقول: إن الكشف والبيان الذي أخذناه في معنى التفسير يستبطن افتراض وجود درجة من الخفاء والغموض في المعنى، ليكشف ويزال الغموض عنه بعملية التفسير فلا يصدق التفسير حينئذ إلا في حالة الغموض والخفاء، فمن يسمع كلاماً له معنى ظاهر يتبادر من ذلك الكلام فيعلن عن ذلك المعنى لا يكون مفسراً للكلام، لأنه لم يكشف عن شيء خفي، وإنما يصدق التفسير على الجهد الذي يبذله الشخص في سبيل اكتشاف معنى الكلام المكتنف بشيء من الغموض والخفاء، وبتعبير آخر إن من أظهر معنى اللفظ يكون قد فسره، وأما حيث يكون المعنى ظاهراً ومتبادراً بطبيعته فلا إظهار ولا تفسير.

وسيراً مع هذا الاتجاه لا يكون من التفسير إلا إظهار أحد محتملات اللفظ وإثبات أنه هو المعنى المراد. أو إظهار المعنى الخفي غير المتبادر وإثبات أنه هو المعنى المراد بدلاً عن المعنى الظاهر المتبادر. وأما ذكر المعنى الظاهر المتبادر من اللفظ فلا يكون تفسيراً. وهذا الاتجاه يمثل الرأي السائد لدى الأصوليين.

ولكن الصحيح هو أن ذكر المعنى الظاهر قد يكون في بعض الحالات تفسيراً أيضاً وإظهاراً لأمر خفي كما أنه في بعض الحالات الأخرى قد لا يكون تفسيراً لأنه يفقد عنصر الخفاء والغموض، فلا يكون إظهاراً لأمر خفي أو إزالة لغموض.

ومن أجل التعرف على موارد الظهور التي ينطبق عليها (التفسير) والموارد التي لا ينطبق عليها معنى التفسير نقسم الظهور إلى قسمين:

أحدهما . الظهور البسيط: وهو الظهور الواحد المستقل المنفصل عن سائر الظواهر الأخرى.

والآخر . الظهور المعقد: وهو الظهور المتكون نتيجة لمجموعة من الظهورات المتفاعلة.

ولأجل توضيح هذا التقسيم نضرب مثالاً لذلك من العرف، بأن يقول شخص لولده: إذهب إلى البحر في كل يوم، أو يقول له: إذهب إلى البحر في كل يوم واستمع إلى كلامه.

فبالنسبة إلى القول الأول نعدّ الظهور ظهوراً بسيطاً إذ لا يوجد في الكلام إلا صورة واحدة تتبادر إلى الذهن وهي: صورة بحر من الماء يطلب الأب من ولده أن يذهب إليه في كل يوم.

وأما بالنسبة إلى القول الثاني فالظهور معقد لأنه مزدوج، فهناك نفس الظهور السابق، إذ يتبادر إلى الذهن من كلمة البحر، البحر من الماء يذهب إليه الولد في كل يوم، ويقابله ظهور آخر وهو ظهور الاستماع إلى كلام البحر، إذ يتبادر إلى الذهن من ذلك: أن البحر ليس بحراً من ماء، بل هو بحر من العلم، لأن بحر الماء لا يُستمع إلى كلامه لأنه ليس له كلام وإنما يستمع إلى صوت أمواجه.

وهكذا نواجه في القول الثاني ظهورين بسيطين متعارضين، وحين نلاحظ الكلام بصورة كاملة متفاعلة يجب أن ندرس نتيجة التفاعل بين ذينك الظهورين وما ينجم عنهما من ظهور بعد تصفية التناقضات الداخلية بينهما، وهذا الظهور الناجم عن ذلك نسميه: بالظهور المعقد أو المركب..

وإذا ميّزنا بين الظهور البسيط والظهور المعقد، أمكننا أن نعرف أن إبراز الظهور المعقد وتحديد معنى الكلام على أساسه يُعَدّ (تفسيراً)، لأن تعقيده وتركيبه يجعل فيه درجة من الخفاء والغموض جديرة بالكشف والإبانة فيصدق عليه اسم: (التفسير)، وأما الظهور البسيط ففي الغالب لا يُعَدّ إبراز معنى الكلام على أساسه تفسيراً، لأن المعنى ظهر بطبيعته فلا يحتاج إلى إظهار.

والنتيجة أن في صدق التفسير على بيان المعنى في موارد الظهور إتجاهين:

أحدهما: القائل بعدم صدقه مطلقاً سواء كان الظهور بسيطاً أم معقداً.

والآخر: . وهو الاتجاه الصحيح . القائل بأن التفسير ليصدق على بيان المعنى في موارد الظهور المعقد دون بعض موارد الظهور البسيط.

التفسير معنى إضافي أو موضوعي

وعلى ضوء الاتجاه الصحيح نعرف: أن التفسير معنى (إضافي) لأن التفسير بيان المعنى وإيضاحه حتى في موارد ظهور اللفظ، والمعنى الواحد قد يكون بحاجة إلى البيان والكشف بالنسبة إلى شخص، ولا يحتاج إلى بيان وكشف عندما يضيفه إلى شخص آخر، فيكون بيانه بالإضافة إلى من يحتاج البيان تفسيراً دون الشخص الآخر.

وأما إذا أخذنا بالاتجاه الآخر الذي يرى: أن التفسير لا يشمل موارد حمل اللفظ على معناه الظاهر مهما كان الظهور معقداً، وإن التقسيم مختص بحمل اللفظ على ما لا يكون ظاهراً من اللفظ، فبالإمكان أن نتصور التفسير معنى (موضوعياً) مطلقاً لا يختلف باختلاف الأفراد، لأننا نلاحظ عندئذ اللغة نفسها، فإن كان المعنى الذي يذكر للفظ هو المعنى الذي يقتضيه الاستعمال اللغوي بطبيعته، فلا يكون ذلك تفسيراً حتى إذا كان محاطاً بشيء من الخفاء والغموض بالنسبة إلى بعض الأشخاص، وإن كان المعنى معنى آخر لا يقتضيه الاستعمال اللغوي بطبيعته وإنما عيناه بدليل خارجي فهو (التفسير).

تفسير اللفظ وتفسير المعنى

والتفسير على قسمين باعتبار الشيء المفسَّر:

١. تفسير اللفظ.

٢. تفسير المعنى.

وتفسير اللفظ عبارة عن (بيان معناه لغة)، وأما تفسير المعنى فهو تحديد مصداقه الخارجي الذي ينطبق عليه ذلك المعنى.

فحين نسمع شخصاً يقول: إن دول الاستكبار الكافر تملك أسلحة ضخمة، تارة نتساءل: ما هو معنى الأسلحة؟ ونجيب عن هذا السؤال: إن الأسلحة هي الأشياء التي يستعين بها صاحبها في قهر عدوه، وأخرى نتساءل: ما هي نوعية السلاح الذي تملكه تلك الدول؟ ونجيب: إن سلاحها القنابل الذرية أو الصواريخ بعيدة المدى أو أقمار التجسس الفضائية أو الغواصات الذرية... .

ففي المرة الأولى فسرنا اللفظ إذ ذكرنا معناه لغة، وفي المرة الثانية فسرنا المعنى إذ حددنا المصداق الذي ينطبق عليه معنى الجملة ويشير إليه، فنسمي المرحلة الأولى بمرحلة (تفسير اللفظ) أو التفسير اللغوي، وهي مرحلة تحديد المفاهيم، ونسمي المرحلة الثانية: مرحلة (تفسير المعنى) وهي مرحلة تجسيد تلك المفاهيم في صور معينة محددة.

وأمثلة ذلك من القرآن الكريم كثيرة، فنحن نلاحظ في القرآن أن الله سبحانه يوصف بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام، ونواجه بالنسبة إلى هذه الكلمات بحثين:

أحدهما: البحث عن مفاهيم هذه الكلمات من الناحية اللغوية، والآخر البحث عن تعيين مصداق تلك المفاهيم بالنسبة إلى الله تعالى، فكيف يسمع سبحانه؟ وهل يسمع بجارحة أو لا؟ وكيف يعلم؟ وهل يعلم بصورة زائدة على ذاته؟

والأول: يمثل التفسير اللفظي للآية أو تفسير اللفظ، والثاني يمثل التفسير المعنوي أو تفسير المعنى.

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى:

((وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ))

وقوله:

((وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ))

وقوله:

((وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ))

فنحن نجد هذه الآيات اللفظ يعني . بصدد هذه الآيات. أن نشرح معنى (النزول) لغة ونحدد مفهوم كلمة أنزلنا الواردة في الآيات الثلاث ونعرف أنها تستبطن معنى (الهبوط من جهة عالية مرتفعة) وتفسير المعنى هو أن ندرس حقيقة هذا الإنزال ونوع تلك (الجهة العالية) التي هبط منها الكتاب والحديد والماء، وهل هي جهة مادية أو معنوية؟

أهمية التمييز بين تفسير اللفظ وتفسير المعنى

والتمييز بين تفسير اللفظ على صعيد المفاهيم، وتفسير المعنى بتجسيده في صورة محددة على صعيد المصاديق... يُعَدّ نقطة جوهرية جداً في تفسير القرآن الكريم وأداة لحل التناقض الظاهري الذي قد يبدو بين حقيقتين قرآنيتين وهما:

الحقيقة الأولى: إن القرآن كتاب هداية للبشرية أنزله الله سبحانه لإخراجها من الظلمات إلى النور وإرشادها إلى الطريقة الأفضل في جوانب حياتها، وقد وصف نفسه بأنه (هدىً للناس)، و(كتاب مبين)، و(تبيانا لكل شيء).

وهذه الحقيقة تفرض أن يجيء القرآن ميسّر الفهم وأن يتاح للإنسان استخراج معانيه منه، إذ لا يحتاج للقرآن أن يحقق أهدافه ويؤدي رسالته لو لم يكن مفهوماً من قبل الناس.

والحقيقة الأخرى: أن كثيراً من المواضيع التي يستعرضها القرآن أو يشير إليها لا يمكن فهمها بسهولة، بل قد تستعصي على الذهن البشري ويتيه في مجال التفكير فيها لدقتها وابتعادها عن مجالات الحس والحياة الاعتيادية التي يعيشها الإنسان، وذلك نظير ما يتعلق من القرآن باللوح، والقلم، والعرش، والموازين، والملك، والشيطان، وإنزال الحديد، ورجوع البشرية إلى الله، والخزائن، وملكوت السماء والأرض، وتسبيح ما في السماوات والأرض... وما إلى ذلك من مواضيع.

إذن فحقيقة أهداف القرآن الكريم ورسالته تفرض أن يكون ميسر الفهم، وواقع بعض مواضيعه يستعصي على الفهم ويتيه فيها الذهن البشري.

وحلّ التناقض الظاهري بين هاتين الحقيقتين إنما يكون بالتمييز بين تفسير اللفظ وتفسير المعنى، لأن الحقيقة الأولى وحقيقة أهداف القرآن ورسالته، إنما تفرض أن يكون القرآن ميسّر الفهم بوصفه كلاماً دالاً على معنى: أي بحسب تفسير اللفظ، وهو بهذا الوصف ميسّر الفهم سهل على الناس استخراج معانيه، وإنما الصعوبة في تحديد الصور الواقعية لمعانيه ومفاهيمه.

فكل الآيات التي استعرضت تلك المواضيع التي أشرنا إليها في الحقيقة الثانية تعدّ مفهومة من ناحية لغوية، ولا صعوبة في التفسير اللفظي لها، وإنما الصعوبة تكمن في تفسير معنى اللفظ لا تفسير اللفظ نفسه، لأن تلك الموضوعات ترتبط بعوالم أرقى من عالم الحس الذي يعيشه الإنسان، فيكون من الطبيعي أن يواجه الإنسان صعوبات كبيرة إذا حاول تحديد المعنى في مصداق معين، وتجسيد المفهوم في ذهن ضمن واقع خاص.

وقد يتساءل هنا عن الضرورة التي دعت القرآن الكريم إلى أن يتعرض لمثل هذه المعاني التي يستعصي تفسيرها على الذهن البشري، فيخلق لذلك صعوبات ومشاكل هو في غنى عنها.

ولكن الواقع أن القرآن الكريم لم يكن بإمكانه أن يتفادى هذه الصعوبات والمشاكل، لأن القرآن بوصفه كتاب دين يستهدف بصورة رئيسية ربط البشرية بعالم الغيب، وتنمية غريزة الإيمان بالغيب فيها أو تقريب صورته إلى الذهن الإنساني المادي ولا يتحقق إلا عن طريق تلك المواضيع التي تنبه الإنسان إلى صلته بعالم أكبر من العالم المنظور، وإن كان غير قادر على الإحاطة بجميع أسراره وخصوصياته.

علوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم: ص٢٣٩ ـ ٢٤٥.

مفهوم التقوى في نهج البلاغة

إنّ كلمة التقوى من أكثر كلمات نهج البلاغة استعمالاً، فليس هناك كتاب يركّز فيه على التقوى أكثر من كتاب نهج البلاغة، وليس هناك في نهج البلاغة مفهوم أو معنى اعتني به أكثر من مفهوم التقوى، فما هي التقوى؟.

يفترض الكثيرون أنّ التقوى من الوقاية، والوقاية تعني الحذر والاحتراز والبعد والاجتناب، وكلّما كان الحذر أكثر كانت التقوى أكمل.

ولهذا نرى أنّ المتظاهرين بالتقوى يحذرون التدخّل في أي عمل، ويجتنبون كل رطب وجامد وحار وبارد، حرصاً على سلامة تقواهم !

ولا شك أنّ الحذر والاجتناب هو من أصول الحياة للإنسان العاقل، فإنّ الحياة لا تخلو عن مقارنة بين السلب والإيجاب والنفي والإثبات والفعل والترك والإقدام والإحجام.

ولكن: لابد أن يكون للابتعاد المفيد حدود وأهداف، فالسيرة العملية السلبية بلا حدود ولا قيود ولا أهداف، ليست مقدّسة ولا يحمد عقباها، لذلك جاء مفهوم التقوى في نهج البلاغة على انه قوّة روحية تتولّد للإنسان من التمرين العملي الذي يحصل من الحذر المعقول من الذنوب، وليس عبارة عن ترك جميع شؤون العباد والبلاد والابتعاد عن أي أمر يتعلق بالدنيا ولوازمها، فالحذر المعقول والمنطقي يكون مقدّمة للحصول على هذه الحالة الروحية، وهو - من ناحية أخرى - من لوازم حالة التقوى ونتائجها.

وإذا حصلت الروح الإنسانية على ملكة التقوى، بمعنى القوة النفسية التي يستطيع الإنسان معها ترك المعاصي واجتناب مخالفة الشريعة، فلا يضطر حينئذ صاحبها إلى ترك المجتمع والاعتزال، بعكس الرأي القائل بان التقوى عبارة عن هجر المجتمع وترك الناس والاعتزال.

إذ الإنسان صاحب النفس القوية القادرة على اجتناب المعاصي وفعل الواجبات يستطيع أن يحفظ نفسه من دون أن يخرجها عن المجتمع، فمن كانت تقواه بالمعنى الأوّل كان كمن يأوي إلى جبل ليعصمه من المرض المعدي، أمّا من كانت تقواه بالمعنى الصحيح كان كمن يقي نفسه من المرض المعدي بالتلقيح ضدّه، فلا يضطر إلى أن يخرج من البلد أو يجتنب الناس، بل يسعى إلى مساعدة المرضى كي ينقذهم ممّا هم فيه من الألم.

والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومن خلال خطبه في نهج البلاغة كان يؤكد على التقوى بكونها قوّة معنوية روحية، تحصل على أثر التمرين والممارسة، ولها آثار ونتائج، منها تيسير الحذر من الذنوب، وكلماته عليه السلام في تقرير هذه الحقيقة كثيرة نختار منها قوله: (ذمّتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم! إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن التقحم في الشبهات... ألا وإنّ الخطايا خيل شُمس حمل عليها راكبها وخلعت لجمها، فتقحمت بهم في النار... ألا وإنّ التقوى مطايا ذُلُل حمل عليها راكبها وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنّة...).

فقد وصف الإمام عليه السلام التقوى في خطبته هذه بأنّها: حالة روحية معنوية من آثارها ضبط النفس وامتلاك أزمتها، وأنّ من لوازم إتباع الهوى وترك التقوى هو انعدام الشخصية وضعف النفس أمام هواها وعند حركة شهواتها، وأنّ فاقد التقوى حينئذ يكون كراكب ضعيف لا إرادة له في تسيير مركبه، بل المركب هو الذي يسير حيث يشاء ويهوى، وأنّ من لوازم التقوى قوّة الإرادة وامتلاك الشخصية المختارة، كراكب ماهر على فرس مدرّب يسير به في الناحية التي يختارها بكل اقتدار وسلطة، فيطيعه الفرس بكل يسر.

(إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتّى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجره)، وفي هذه الكلمة يصرّح الإمام عليه السلام بأنّ التقوى شيء يكون الحذر من الحرام، والخوف من الله من لوازمه وآثاره.

وعلى هذا، فليست التقوى هي نفس الحذر، ولا نفس الخوف من الله، بل قوّة مقدّسة روحية توحي بهذه الأمور وتستتبعها،(فإنّ التقوى في اليوم الحرز والجُنّة، وفي غد الطريق إلى الجنّة).

نرى أنّ الإمام عليه السلام قد عطف نظره في هذه الكلمات إلى الناحية الروحية والنفسية والمعنوية للتقوى وآثارها في الروح، بحيث تبعث فيه الإحساس بحب البر والطهر، والإحساس بالتذمّر من الذنوب والأرجاس والأنجاس.

إنّ التقوى في نهج البلاغة: قوّة مقدّسة روحية ينشأ منها أنواع من الإقدام والإحجام، إقدام على القيم المعنوية، وإحجام عن الدنايا المادّية. إنّ التقوى في نهج البلاغة: حالة تهب لروح الإنسان قدرة يتسلّط بها على نفسه ويمتلكها.

ولقد أكد الإمام عليه السلام في خطبه في نهج البلاغة على أنّ التقوى: وقاية لا قيود، فهناك كثير من الناس لا يفرقون بين (الوقاية) و(القيود)، ولذلك فهم يفرّون من التقوى باسم التحرّر من القيود والخروج عن الحدود.

ولا شك أنّ الجدار الواقي يشترك مع السجن في أنّهما كليهما مانعان، ولكن الجدار الواقي يمنع عن الخطر، في حين أنّ السجن يمنع عن التمتّع بالنعم والمواهب المعدّة للإنسان.

يقول الإمام عليه السلام: (اعلموا عباد الله: أنّ التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل لا يمنع أهله، ولا يحرز من لجأ إليه، ألا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا).

وكأنّه عليه السلام يشبّه الفجور في كلامه هذا بالحيوان اللاسع كالعقارب والحيات، ويقول: اقطعوا عن أنفسكم لسعة هذه العقارب بالتقوى، ويصرّح في بعض كلماته أنّ التقوى ليست قيوداً تمنع عن التحرّر، بل هي منبع الحرّيات الواقعية وأساسها ومنشؤها. (فإنّ تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة).

واضح أنّ التقوى تهب للإنسان حرّية معنوية، تحرّره من أسر عبودية الهوى، وترفع عن رقبته حبال الحسد والحقد والطمع والشهوة، وهكذا تحرق عروق العبودية المادّية، بين ناس هم عبيد الدنيا والمال والمقام والراحة، بينما لا يخضع التقي لأعباء هذه العبودية.

ولقد بحث الإمام عليه السلام في نهج البلاغة حول آثار التقوى كثيراً، ولا نرى نحن هنا ضرورة للبحث عن جميعها، وإنّما نقصد هنا أن يتّضح لنا المفهوم الواقعي للتقوى في مدرسة نهج البلاغة، ليتبيّن لنا معنى هذا التأكيد على هذه الكلمة في نهج البلاغة.

وإنّ من أهم آثار التقوى الذي أشير إليه في نهج البلاغة أثرين خطيرين:

أحدهما: البصيرة النيّرة والرؤية الواضحة.

والآخر: القدرة على حل المشاكل والخروج عن المضائق والشدائد.

ونهج البلاغة يكاد يؤكد بكل مفرداته على أنّ: التقوى تقي الإنسان، وان من وظيفة ان الإنسان يحافظ عليها، بل يصر نهج البلاغة على أنّ التقوى وثيقة تضمن للإنسان نوعاً من الأمن من الزلل والفتن، وفي نفس الوقت يلفت نظر الإنسان إلى أنّه أيضاً يجب عليه أن لا يغفل لحظة عن حراسة التقوى والحفاظ عليها، فإنّ التقوى وإن كانت واقية للإنسان، ولكن مع ذلك يجب على الإنسان أيضاً أن يكون واقياً لها.

وليس هذا من (الدور المُحال الباطل)، بلى هو من نوع المحافظة المتقابلة بين الإنسان والثياب، إذ الإنسان يحافظ عليها من التمزّق والسرقة، وهي تحافظ على الإنسان من الحر والبرد والبأس والبؤس، ولقد عبّر القرآن الكريم أيضاً عن التقوى باللباس فقال:(وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ).

وفي هذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (أيقظوا بها نومكم، واقطعوا بها يومكم، وأشعروها قلوبكم، وارحضوا بها ذنوبكم.. ألا فصونوها وتصوّنوا بها).

وقال عليه السلام: (أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإنّها حق الله عليكم، والموجبة على الله حقّكم، وأن تستعينوا عليها بالله، وتستعينوا بها على الله).

ذو الوجهين واللسانين في كلمات أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم

ان ظاهرة ذي الوجهين وذي اللسانين من الظواهر الخطيرة والشائعة في نفس الوقت بين أفراد المجتمع، وهي ظاهرة جديرة بالدراسة، وهي من الظواهر القديمة الجديدة إن صح التعبير ،فجذورها ليست حديثة لذلك نرى بان أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وروايات الأئمة المعصومين قد أطالت ذكر هذه الحالة السلبية وحذرت منها اشد التحذير كما سنرى لاحقا ان شاء الله تعالى، ولتقريب الفكرة سنضرب للقارىء الكريم عدة أمثلة للإنسان صاحب الوجهين واللسانين ليتضح المقصود.

بعض أمثلة ذي الوجهين وذي اللسانين

فذو اللسانين هو صاحب الكلمات المتضادة والمتناقضة والذي يتحدث بأحاديث من أجل تحصيل المنفعة الدنيوية ومن دون ضرورة لذلك، مثلا يعترف بشيء ثم ينكره بعد ذلك، أو يشهد على شيء ثم يظهر خلافه بعد ذلك، أو يمدح أحدا حال حضوره ولكنه عند غيابه يطعن به.

وذو الوجهين وذو اللسانين هو صاحب العلاقة بين عدوين يتكلم مع كل واحد منهما بلسان يوافقه، ثم يلتقي بكل واحد من هذين المتخاصمين ويمدحه ويفضله على صاحبه، ويعينه على صاحبه فهذا أيضا ذو لسانين.

لقاء الناس بوجهين وبلسانين شعبة من شعب النفاق

فيتبين مما سبق ان لقاء المسلمين بوجهين هو أن يبدي المرء ظاهر حاله وصورته الخارجية لهم على خلاف ما تكون في باطنه وسريرته، كأن يبدي أنه من أهل المودة والمحبة لهم وأنه مخلص حميم، بينما يكون في الباطن على خلاف ذلك، فيتعامل بالصدق والمحبة في حضورهم ولا يكون كذلك لدى غيابهم. وهو ما يسمى«النفاق العملي».

وأما ذو اللسانين فهو أن يثني على كل من يلقى من المسلمين أو بعضهم ويمتدحه ويتملق له، ولكنه في غيابه يعمد إلى تكذيبه وإلى استغابته، وهو ما يسمى«النفاق القولي».

فلقاء الناس بوجهين ولسانين بناءً على هذا شعبة من شعب النفاق ووادٍ من أوديته.

ذو الوجهين واللسانين في أحاديث أهل البيت عليهم السلام

عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله قال: (يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدامه يلتهبان نارا حتى يلهبا جسده ثم يقال هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين ولسانين يعرف بذلك يوم القيامة)[١].

وقال صلى الله عليه وآله أيضا: (من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار).

عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار)[٢] .

وعن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه قال: (بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه ظاهرا ، ويأكله غائبا ، إن أعطي حسده، وان أبتلي خذله)[٣] .

عاقبة ذي الوجهين واللسانين في عالم الدنيا والآخرة

إن النفاق والاتصاف بصفة ذي الوجهين واللسانين هي في نفسها من الصفات القبيحة التي لا يتصف بها إنسان شريف، بل إن المتصف بها يُعَدّ خارجاً عن مجتمع الإنسانية، بل هو لا يشبه الحيوان أيضاً. وهذه الصفة تبعث على الذل والفضيحة في الدنيا أمام الأصحاب والأقران، وتورث الذل والعذاب الأليم في الآخرة، كما ورد في الرواية السابقة، كما مر علينا قبل قليل. ويكون مشمولاً أيضا بالآية الشريفة: (وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّه به أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)[٥].

وفضلا عن كون صفة ذي الوجهين واللسانين رذيلة بنفسها، فهي تستتبع أيضا وتتولد منها رذائل أخرى وصفات أخلاقية أخرى مهلكة للعمل ومحبطة للأجر، فمنها تتولد الفتنة التي يصفها القرآن الكريم بكونها (أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)[٦] ، ومثل النميمة التي يقول عنها الإمام الباقر عليه السلام: (محرمة الجنة على القتّاتين المشّائين بالنميمة)[٧] .

وتتولد عن هذه الصفة القبيحة أيضا صفة الغيبة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله (الغيبة أشد من الزنى)[٨]، وإيذاء المؤمن وسبه وكشف الستر عنه وإفشاء سره، وغيرها مما يعد كل واحد منها سبباً كافياً لهلاك الإنسان.

معالجة رذيلة لقاء الناس بوجهين ولسانين

هناك طريقان لعلاج هذه الخطيئة الكبيرة:

الأول: التفكير في عاقبة النفاق والمفاسد التي تنتج عن رذيلة لقاء الناس بوجهين ولسانين، فإن الإنسان إذا ما عُرِفَ بين الناس انه منافق او صاحب وجهين ولسانين فانه يسقط من أعينهم، ويفقد كرامته بين أصحابه، فيُبعد عن مجالسهم ويتخلف عن محافل أنسهم، فعلى صاحب الضمير الحي أن يطهر نفسه من هذا العار الملطخ للشرف، لكيلا يبتلى بالذل. وكذلك في عالم الآخرة عالم كشف الأسرار. فهناك سيحشر مشوه الخلقة بلسانين من نار، ويعذب مع المنافقين والشياطين. فعلى من عرف هذه النتيجة أن يجتنب هذه الصفة ويسلك في المعالجة العملية.

الطريق الثاني: وهو الأسلوب العملي لعلاج النفس، ويتحقق العلاج العملي بأن يراقب حركاته وسكناته بكل دقة لفترة من الوقت، ويعمد إلى العمل بما يخالف رغبات النفس وتمنياتها، ويجاهد في جعل أعماله وأقواله في الظاهر والباطن واحدة، ويبتعد عن التظاهر والتدليس في حياته العملية.

ويطلب من الله تعالى خلال ذلك التوفيق، والعون، فإن فضل الله تعالى على الناس ورحمته بهم لا نهاية لها، فيشمل برحمته كل من خطا نحو الإصلاح، ويمد يد الرحمة للإنقاذ، فإذا ثابر على ذلك بعض الوقت، كان له أن يرجو لنفسه الصفاء والانعتاق من النفاق وحالة ذي الوجهين.

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص٣٨.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣)الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٣٤٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سورة الرعد الآية رقم ٢٥.

(٦) سورة البقرة الآية رقم ١٩١.

(٧)الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٣٦٩.

(٨)علل الشرائع للشيخ الصدوق ج٢ ص٥٥٧.

العدالة أشرف الفضائل وأفضلها، إذ قد عرفت أنها كل الفضائل أو ما يلزمها، كما أن الجور كل الرذائل أو ما يوجبها، لأنها هيئة نفسانية يقتدر بها على تعديل جميع الصفات والأفعال، ورد الزائد والناقص إلى الوسط، وانكسار سورة التخالف بين القوى المتعادية، بحيث يمتزج الكل وتتحقق بينها مناسبة واتحاد تحدث في النفس فضيلة واحدة تقتضي حصول فعل متوسط بين أفعالها المتخالفة، وذلك كما تحصل من حصول الامتزاج والوحدة بين الأشياء المتخالفة صورة وحدانية يصدر عنها فعل متوسط بين أفعالها المتخالفة، فجميع الفضائل مترتبة على العدالة، ولذا قال أفلاطون الإلهي: (العدالة إذا حصلت للإنسان أشرق بها كل واحد من أجزاء نفسه ويستضيء بعضها من بعض، فتنهض النفس حينئذ لفعلها الخاص على أفضل ما يكون، فيحصل لها غاية القرب إلى مبدعها سبحانه).

ومن خواص العدالة وفضيلتها أنها أقرب الصفات إلى الوحدة، وشأنها إخراج الواحد من الكثرات، والتأليف بين المتباينات، والتسوية بين المختلفات، ورد الأشياء من القلة والكثرة والنقصان والزيادة إلى التوسط الذي هو الوحدة، فتصير المتخالفات في هذه المرتبة متحدة نوع اتحاد، وفي غيرها توجد أطراف متخالفة متكاثرة، ولا ريب في أن الوحدة أشرف من الكثرة، وكلما كان الشيء أقرب إليها يكون أفضل وأكمل وأبقى وأدوم ومن تطرق البطلان والفساد أبعد، فالمتخالفات إذا حصل بينها مناسبة واتحاد وحصلت منها هيئة وحدانية صارت أكمل مما كان، ولذا قيل: كمال كل صفة أن يقارب ضدها، وكمال كل شخص أن يتصف بالصفات المتقابلة بجعلها متناسبة متسالمة، وتأثير الأشعار الموزونة والنغمات والإيقاعات المتناسبة، وجذب الصور الجميلة للنفوس، إنما هو لوحدة التناسب، ونسبة المساواة في صناعة الموسيقا أو غيرها أشرف النسب لقربها إلى الوحدة وغيرها من النسب يرجع إليها.

وبالجملة: اختلاف الأشياء في الكمال والنقص بحسب اختلافها في الوحدة والكثرة، فأشرف الموجودات هو الواحد الحقيقي الذي هو موجد الكل ومبدئه، ويفيض نور الوحدة على كل موجود بقدر استعداده كما يفيض عليه نور الوجود كذلك، فكل وحدة من الوحدات جوهرية كانت أو خلقية أو فعلية أو عددية أو مزاجية، فهو ظل من وحدته الحقة، وكلما كان أقرب إليها يكون أشرف وجوداً، ولولا الاعتدال والوحدة العرضية التي هي ظل الوحدة الحقيقية لم تتم دائرة الوجود، لأن تولد المواليد من العناصر الأربعة يتوقف على حصول الاتحاد والاعتدال، وتعلق النفس الربانية بالبدن إنما هو لحصول نسبة الاعتدال، ولذا يزول تعلقها به بزوالها بل النفس عاشقة لتلك النسبة الشريفة أينما وجدت، والتحقيق أنها معنى وحدانية يختلف باختلاف محالها، فهي في الأجزاء العنصرية الممتزجة اعتدال مزاجي، وفي الأعضاء حسن ظاهري، وفي الكلام فصاحة، وفي الملكات النفسية عدالة، وفي الحركات غنج ودلال، وفي المغنيات أبعاد شريفة لذيذة والنفس عاشقة لهذا المعنى في أي مظهر ظهر، وبأية صورة تجلى، وبأي لباس تلبس.

فإني أحب الحسن حيث وجدته

وللحسن في وجه الملاح مواقع

والكثرة والقلة والنقصان والزيادة تفسد الأشياء إذا لم تكن بينها مناسبة تحفظ عليها الاعتدال والوحدة بوجه ما، وفي هذا المقام تفوح نفحات قدسية تهتز بها نفوس أهل الجذبة والشوق، ويتعطر منها مشام أصحاب التأله والذوق، فتعرض لها إن كنت أهلاً لذلك، وإذا عرفت شرف العدالة وإيجابها للعمل بالمساواة، ورد كل ناقص وزائد إلى الوسط، فاعلم: أنها إما متعلقة بالأخلاق والأفعال، أو بالكرامات وقسمة الأموال، أو بالمعاملات والمعارضات، أو بالأحكام والسياسات، والعادل في كل واحد من هذه الأمور ما يحدث التساوي فيه برد الإفراط والتفريط إلى الوسط.

ولا ريب في أنه مشروط بالعلم بطبيعة الوسط حتى يمكن رد الطرفين إليه، وهذا

العلم في غاية الصعوبة، ولا يتيسر إلا بالرجوع إلى ميزان معرف للأوساط في جميع الأشياء، وما هو إلا ميزان الشريعة الإلهية الصادرة عن منبع الوحدة الحقة الحقيقية، فإنها هي المعرفة للأوساط في جميع الأشياء على ما ينبغي، والمتضمنة لبيان تفاصيل جميع مراتب الحكمة العملية، فالعادل بالحقيقة يجب أن يكون حكيما عالماً بالنواميس الإلهية الصادرة من عند الله سبحانه لحفظ المساواة.

وقد ذكر علماء الأخلاق أن العدول ثلاثة: (الأول) العادل الأكبر وهو الشريعة الإلهية الصادرة من عند الله سبحانه لحفظ المساواة، و(الثاني) العادل الأوسط، وهو الحاكم العادل التابع للنواميس الإلهية والشريعة النبوية فإنه خليفة الشريعة في حفظ المساواة، (الثالث) العادل الصامت وهو الدينار لأنه يحفظ المساواة في المعاملات والمعاوضات.

بيان ذلك: إن الإنسان مدني بالطبع فيحتاج بعض أفراد إلى بعض آخر، ولا يتم عيشهم إلا بالتعاون، فيحتاج الزارع إلى عمل التاجر وبالعكس والنجار إلى عمل الصباغ وبالعكس، وهكذا فتقع بينهم معاوضات، فلابد من حفظ المساواة بينها دفعاً للتنازع والتشاجر، ولا يمكن حفظها بالأعمال لاختلافها بالزيادة والنقصان والقلة والكثرة وغير ذلك، وربما كان أدنى عمل مساوياً لعمل كثير كنظر المهندس، وتدبير صاحب الجيش، فإن نظرهما في لحظة واحدة ربما ساوى عملا كثيرا لمن يعمل ويحارب، فحفظ المساواة بينها بالدينار والدرهم بأن تقوم بهما الأعمال والأشياء المختلفة ليحصل الاعتدال والاستواء، ويتبين وجه الأخذ والإعطاء، وتصريح المشاركات والمعاملات على نهج لا يتضمن إفراطاً ولا تفريطاً قيل: وقد أشير إلى العدول الثلاثة في الكتاب الإلهي بقوله سبحانه:

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ فإن الكتاب إشارة إلى الشريعة، والميزان إلى آية معرفة النسبة بين المختلفات ومنها الدينار، والحديد إلى سيف الحاكم العادل المقوم للناس على الوسط، هذا والمقابل للعادل - أعني الجائر المبطل للتساوي أيضا - إما جائر أعظم - وهو الخارج عن حكم الشريعة - ويسمى كافرا - أو جائر أوسط - وهو من لا يطيع عدول الحكام في الأحكام - ويسمى طاغياً وباغياً - أو جائر أصغر - وهو من لا يقوم على حكم الدينار، فيأخذ لنفسه أكثر من حقه ويعطي غيره أقل من حقه - ويسمى سارقاً وخائناً.

ثم العدالة على أقسام ثلاثة

(أحدها) ما يجري بين العباد وبين خالقهم سبحانه، فإنها لما كانت عبارة عن العمل بالمساواة على قدر الإمكان، والواجب سبحانه واهب الحياة والكمالات وما يحتاج إليه كل حي من الأرزاق والأقوات، وهيأ لنا في عالم آخر من البهجة والسرور ولا عين رأت ولا أذن سمعت، وما من يوم إلا ويصل إلينا من نعمه وعطاياه ما تكل الألسنة عن حصره وعده، فيجب أن يكون له تعالى علينا حق يقابل به تلك النعم التي لا تحصى كثرة حتى تحصل عدالة في الجملة، إذ من أعطى خيرا ولم يقابله بضرب من المقابلة فهو جائر.

ثم المقابلة والمكافآت تختلف باختلاف الأشخاص، فإن ما يؤدى به حق إحسان السلطان غير ما يؤدى به حق إحسان غيره، فإن مقابلة إحسانه إنما تكون بمثل الدعاء ونشر المحاسن، ومقابلة إحسان غيره تكون بمثل بذل المال والسعي في قضاء حوائجه وغير ذلك، والواجب سبحانه غني عن معونتنا ومساعينا، ولا يحتاج إلى شيء من أعمالنا وأفعالنا، ولكن يجب علينا بالنظر إلى شرع العدالة حقوق تحصل بها مساواة في الجملة كمعرفته ومحبته، تحصيل العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، والاجتهاد في امتثال ما جاءت به رسله وسفراؤه من الصوم والصلاة، والسعي إلى المواقف الشريفة وغير ذلك، وإن كان التوفيق لإدراك ذلك كله من جملة نعمائه، إلا أن العبد إذا أدى ماله فيه مدخلية واختيار من وظائف الطاعات، وترك ما تقتضي الضرورة بتمكنه على تركه من المعاصي واختيار من وظائف الطاعات، وترك ما تقتضي الضرورة بتمكنه على تركه من المعاصي والسيئات، لخرج عن الجور المطلق ولم يصدق عليه أنه جائر مطلق، وإن كان أصل تمكنه واختياره، بل أصل وجوده وحياته كلها من الله سبحانه.

(الثاني) ما يجري بين الناس بعضهم لبعض: من أداء الحقوق وتأدية الأمانات والنصفة في المعاملات والمعارضات وتعظيم الأكابر والرؤساء وإغاثة المظلومين والضعفاء، فهذا القسم من العدالة يقتضي أن يرضى بحقه، ولا يظلم أحداً، ويقيم كل واحد من أبناء نوعه على حقه بقدر الإمكان، لئلا يجور بعضهم بعضاً، ويؤدي حقوق إخوانه المؤمنين بحسب استطاعته.

وقد ورد في الحديث النبوي: (إن للمؤمن على أخيه ثلاثين حقاً لا براءة له منها إلا بالأداء أو العفو: يغفر زلته، ويرحم غربته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته ويسمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبر أنعامه، ويصدق أقسامه، ويواليه ولا يعاديه، وينصره ظالماً أو مظلوماً، فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على من ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه، ولا يسأمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه).

(الثالث) ما يجري بين الأحياء وذوي حقوقهم من الأموات، من أداء ديونهم وإنفاذ وصاياهم والترحم عليهم بالصدقة والدعاء، وقد أشار خاتم الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم إلى أقسام العدالة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله)، وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم في خبر آخر: (الدين النصيحة، قيل لمن؟ قال: لله ولرسوله ولعامة المؤمنين).

جامع السعادات محمد مهدي النراقي: ج١، ص٩١ - ٩٥.

الإمامة

مفهومها وشروط

تعريف الإمامة في اللغة

تكاد كلمة أهل اللغة تجتمع على أن جميع معاني الإمام والإمامة ترجع وتدور حول معنيين محددين هما معنى (التقدُّم والاقتداء). فهي مصدر من الفعل (أمَّ) فتقول: (أمَّهم وأمَّ بهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام: كل من ائتم به من رئيس أو غيره)[1].

وقال ابن منظور: (الإمام كل من ائتمَّ به قوم كانوا على الصراط المستقيم او كانوا ضالين...والجمع أئمة وإمام كل شيء قيمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية وأممت القوم الصلاة إمامة وائتم به: اقتدى به...)[2].

وقال الزبيدي في تاج العروس: (إمام القوم معناه هو المتقدم عليهم... والدليل إمام السفر والحادي إمام الإبل وان كان وراءها لأنه الهادي لها)[3].

الإمام والإمامة في القرآن الكريم

ورد لفظ (الإمام) في القرآن الكريم بصيغة الإفراد وبصيغة الجمع في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[4].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[6]. فمن مجموع هذه الآيات الشريفة يتبين أن القرآن قد استعمل (الإمامة) بمعنى (التقدُّم والاقتداء)، والإمام على كل من تقدم قوما واقتدي به كافرا كان هذا الإمام أو مسلما مؤمنا كان أو فاجرا.

الإمام والإمامة في الحديث الشريف

تحدث النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله وسلم» في روايات كثيرة عن موضوع الإمام والإمامة، والإحاطة بكل مفردات هذه اللفظة في جميع أحاديثه «صلى الله عليه وآله وسلم» أمر لا يتناسب وهذه المقالة المختصرة، لكننا نشير إلى حديث واحد متواتر تواترا معنويا عند السنة والشيعة، وان اختلفت ألفاظ الروايات التي نقلته لنا، وهو الذي رواه الشيخ الكليني عن الحارث ابن المغيرة قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية؟ قال: نعم، قلت: جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال جاهلية كفر ونفاق وضلال)[7].

وعن الفضيل بن يسار قال: (ابتدأنا أبو عبد الله عليه السلام يوما وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية...)[8]، وقد ورد هذا الحديث في كتب أهل السنة وصحاحهم بنفس اللفظ أو بلفظ آخر يؤدي نفس المعنى، فقد روى مسلم في صحيحه عن نافع عن ابن عمر انه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)[9]، ومعلوم أن البيعة لا تكون في العنق إلا للإمام، فيكون المؤدى واحدا.

التعريف الاصطلاحي للإمامة والإمام عند أهل السنة

يقول عبد الله بن عمرو بن سليمان الدميجي في كتابه (الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة): (فقد عرفها العلماء ـ السنة ـ بعدة تعريفات، وهي وان اختلفت في الألفاظ فهي متقاربة في المعاني)[10].

وقد عرفها الماوردي بقوله: (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا)[11]. أما الجويني فقد عرفها بقوله: (الإمامة رياسة تامة وزعامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا)[12].

وقد عرفها النسفي في عقائده بقوله: (نيابة عن الرسول عليه السلام في إقامة الدين بحيث يجب على كافة الأمة الإتباع)[13].

وعرفها صاحب المواقف بقوله: (هي خلافة الرسول صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم في إقامة الدين بحيث يجب إتباعه على كافة الأمة)[14].

التعريف الاصطلاحي للإمامة والإمام عند الشيعة الإمامية

ولم يختلف كثيرا تعريف الإمامة والإمام عند الشيعة الإمامية عما سبق تعريفه عند أهل السنة، لكنهم وكما سيأتي اختلفوا معهم في أمور أخرى من قبيل الصفات والمؤهلات التي يجب توفرها في ذلك الإمام، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقا.

وقد عرفها السيد المرتضى في رسائله: (الإمامة: رياسة عامة في الدين بالأصالة لا بالنيابة عمن هو في دار التكليف، الإمامية: الذاهبون إلى النص الجلي على إمامة اثني عشر إماما من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله)[15].

أما العلامة الحلي فقد عرفها بقوله: (الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي «صلى الله عليه وآله»)[16].

وقد زاد المحقق الحلي هذا التعريف إيضاحا فقال: (الإمامة رئاسة عامة لشخص من الأشخاص بحق الأصل لا نيابة عن غير هو في دار التكليف، فقولنا: «عامة»

...طها وصفات الإمام بين الشيعة وأهل السنة

احترازا من الأمراء والقضاة. وقولنا: «بحق الأصل» احترازا عمن يستخلفه الإمام نائبا عنه. وقولنا: «لا نيابة عن غير هو في دار التكليف» احترازا من نص النبي أو الإمام على إمام بعده، فإنه لا يثبت رئاسته مع وجود الناص عليه. واعلم أن بهذا التفسير تكون لفظة «الإمام» واقعة على النبي كما تقع على خليفته حتى يكون كل نبي إماما ولا ينعكس فيتفاوتان تفاوت العام والخاص)[1].

فجميع الأقوال كما ترى مجتمعة على ان الإمامة هي في حقيقتها رئاسة عامة في جميع شؤون الدين والدنيا نيابة عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وتكون هذه النيابة بالأصالة وليس بالنيابة. فمن امتلك مثل هذه الرتبة والصلاحيات فهو إمام.

تنصيب الإمام أهو واجب على الله سبحانه أم على العباد؟

اختلفت أقوال علماء الشيعة الإمامية مع أقوال علماء أهل السنة حول مسألة وجوب تنصيب الإمام. فمع ان جميعهم قد اتفق على ان نصب الإمام لإدارة شؤون الأمة الدنيوية والأخروية ورعايتها واجب. إلا أنهم اختلفوا في تعلق هذا الوجوب. فعلماء الإمامية وأتباع مذهب أهل البيت ذهبوا بالإجماع على ان وجوب تنصيب الإمام هو وجوب عقلي قبل أن يكون شرعيا. فالعقل يحكم قبل الشرع بوجوب إن يعين الله سبحانه للناس إماما يأخذ بأيدي الناس نحو الهدى والصراط المستقيم. وفي هذا الصدد يقول العلامة الحلي: (وهي واجبة عقلا. لأن الإمامة لطف فإنا نعلم قطعا أن الناس إذا كان لهم رئيس مرشد مطاع ينتصف للمظلوم من الظالم. ويردع الظالم عن ظلمه. وكانوا إلى الصلاح أقرب. ومن الفساد أبعد. وقد تقدم أن اللطف واجب)[18].

وقد فصل ابن ميثم البحراني الكلام حول تقريب الاستدلال بان الامامة واجب عقلي بما ليس عليه مزيد فقال: (الامامة واجبة عقلا وسمعا. أما العقل فمن وجهين: الأول: نصب الإمام إما أن يكون خيرا محضا أو الخير فيه أغلب. أو شرا محضا أو الشر فيه أغلب. أو متساويين والأقسام الثلاثة الأخيرة باطلة لما يعلم بالضرورة بعد تصفح أحوال الخلق وعاداتهم أنه متى كان بينهم رئيس منبسط اليد قوي الشوكة. يردع ظالمهم وينصر مظلومهم. ويحثهم على الواجبات ويكفهم عن المحرمات. كانوا إلى الصلاح أقرب وعن الفساد أبعد. وإذا لم يكن بينهم مثل هذا الرئيس كان حالهم بالعكس. وفطرة العقل شاهدة بما ذكرنا. وإذا كان الأمر كذلك لم يمكن أن يقال الشر في هذه الحالة مساو للخير فضلا عن القسمين الأخيرين فبقي أن يقال أنها خير أو الخير فيه غالب. وأيما كان فهي تفيد المطلوب. أما الأول: فلأن ذات الله تعالى فياضة بالخيرات. لا توقف لها في إفاضة الخيرات على أمر غير ذاتها. فكان إيجادها لمثل هذا الخير المحض واجبا. وأما الثاني: فهو أيضا كذلك. فأما كونها مشتملة على شيء من الشرور فلا يضر في وجوب وجودها. لأن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير في الجود والحكمة. فيثبت بما قررناه أن نصب الإمام واجب من الله تعالى. وهو المطلوب)[19].

أما عند أهل السنة فلا خلاف عندهم في وجوبها. قال ابن حزم: (اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة...)[20]. وقال القرطبي: (ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة...)[21].

إلا أنهم لا يرون للعقل مدخلية في وجوبها. وان الشرع هو الذي دل على وجوبها فقط. وهو رأي مردود لكن ليس هاهنا محل رده لاحتياج مثل هذه الأبحاث إلى مساحة واسعة اكبر بكثير من هذه التي نحن فيها. وعى أي الأحوال فقد قدموا لإثبات وجوبها الشرعي عدة أدلة نختار منها دليلا واحدا مبسطا ومختصرا.

ما قاله صاحب كتاب (الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة) حيث قال مستدلا ببعض الأحاديث النبوية: (ما رواه عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله - وسلم قال: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» أي بيعة الإمام وهذا واضح الدلالة على وجوب نصب الإمام لأنه إذا كانت البيعة واجبة في عنق المسلم والبيعة لا تكون إلا لإمام فنصب الإمام واجب)[22].

وسيأتي تفصيل أكثر لشروط الإمام وغير ذلك في الأعداد القادمة إن شاء الله تعالى.

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي ج٤ ص٧٨.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج١٢ ص٢٤ مادة أمم.

(٣) تاج العروس للزبيدي ج٨ ص١٩٣.

(٤) سورة البقرة الآية رقم ١٢٤.

(٥) سورة القصص الآية رقم ٥.

(٦) سورة القصص الآية رقم ٤١.

(٧) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٣٧٧.

(٨) المصدر السابق ص ٣٧٦.

(٩) صحيح مسلم ج ٦ ص ٢٢.

(١٠) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة لعبد الله بن عمرو بن سليمان الدميجي.

(١١) الأحكام السلطانية لعلي بن محمد الماوردي ص٥.

(١٢) غياث الأمم في التياث الظلم للجويني ص١٥.

(١٣) العقائد النسفية ص١٧٩.

(١٤) المواقف للإيجي ص٣٩٥.

(١٥) رسائل المرتضى ج ٢ ص ٢٦٤.

(١٦) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر للعلامة الحلي ص ٩٣ ـ ١٠١.

(١٧) المسلك في أصول الدين للمحقق الحلي ص ١٨٧.

(١٨) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر للعلامة الحلي ص ٩٣.

(١٩) النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة لابن ميثم البحراني ص ٤٥.

(٢٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٤ ص٨٧.

(٢١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١ ص٢٦٤.

(٢٢) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة لعبد الله بن عمرو بن سليمان الدميجي ص٥٠.

هاشم المرقال عليه السلام
صاحب الإمام أمير المؤمنين

نسبه وكنيته ولقبه رضوان الله تعالى عليه

هو هاشم بن عُتْبة بن أبي وقّاص مالك بن أُهَيب بن عبد مَناف بن زهرة... بن نزار بن معدّ بن عدنان. كان يُكنّى «أبا عَمرو» و «أبا عُتبة»، ويُعرف بـ «المرقال»: لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال له: أرقِل يا ميمون، أو لأنّه كان يُرقِل في الحرب، أي يُسرع، من الإرقال وهو ضَربٌ من العَدْو.

ولادته وأوصافه

لعلّ الذي يُستقرَب في ولادة هاشم المرقال أنّ ولادته كانت سابقة على سنة ١٥ قبل الهجرة، كأن تكون متراوحة بين ٢٥ . ٣٠ قبل الهجرة النبوية. وكان المرقال رجلاً ضخماً، وقد قال قبل مصرعه: أيّها الناس، إنّي رجل ضخم، فلا يَهولنّكم مَسقَطي إذا سقطت، وعُرف بالأعور، إذ كانت عينه اليمنى قد ذهبت في معركة اليرموك.

إيمانه وولاؤه

رغم أنّ أباه كان من أشدّ الناس على النبيّ صلّى الله عليه وآله.. فقد كان هاشم المرقال من خيار الصحابة الذين وفَوا لله ولرسوله صلّى الله عليه وآله، وثبتوا على القول بإمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام.. قال الإمام الصادق عليه السّلام: (كان مع أمير المؤمنين عليه السّلام من قريش خمسة نفر، وكانت ثلاث عشرة قبيلة مع معاوية: فأمّا الخمسة: فمحمّد بن أبي بكر.. أتته النّجابة من قِبَل أمّه أسماء بنت عُميس، وكان معه هاشم بن عُتبة بن أبي وقّاص المرقال).

فهو بحسب هذا النص من الإمام الصادق عليه السلام أحد خمسة مؤمنين مقابل ثلاث عشرة قبيلة منحرفة، وهو أحد المناصرين المؤازرين للإمام عليّ عليه السّلام في محنه، ثمّ كان صاحبَ الراية العظمى لمولاه في صِفّين، وكان في الميسرة يوم الجمَل. ولا يخفى على البصير أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لا يعطي الراية - خصوصاً العظمى - إلاّ لمتمحّض في الإيمان.

وقد عُدّ المرقال أيضا من وجوه الصحابة الذين رَوَوا أنّ عليّاً عليه السّلام هو أوّل مَن أسلم، ثمّ كان من دلائل ولائه وثبات عقيدته إدلاؤه بالشهادة الحقّة لأمير المؤمنين عليه السّلام بالكوفة يوم الرُّكبان، وشهد له بأنّه وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وخليفته من بعده، وكان فيمن رَوَوا حديث الغدير واقعةً ونصوصاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ويوم اجتمع جماعة في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله أيّام عثمان وذكروا فضل قريش وسوابقها، وفضل الأنصار ونصرتهم.. تكلّم أمير المؤمنين عليه السّلام وناشدهم بمناقبه من: المؤاخاة، وسدّ الأبواب غير بابه، ويوم الغدير، وحديث المنزلة، والمباهلة، وفتح خيبر، ونزول آيات شريفة فيه وفي زوجته الطاهرة وابنَيه، وأن رسول الله صلّى الله عليه وآله ذكره أنّه أوّل الأوصياء، وعدّدهم واحداً بعد واحد، إلى غير ذلك من آلاف المواقف التي تثبت وبما لا يقبل الشك أنه كان من المقربين المخلصين للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

شجاعته وبطولاته

كان هاشم المرقال من المحاربين القدماء ذوي التجارب والخبرات الحربيّة الطويلة، حتّى أصبح من كبار القادة وأصحاب الخطط الحربيّة. وخلال حروب الشام، أثبت المرقال قدرته القتاليّة، وكذا حين كان يقود فرقة من فرق الفرسان في اليرموك وقد ذهبت إحدى عينيه، وكان شارك في فتوح العراق، وشُهِد له في القادسيّة بأدواره الفاعلة الحاسمة، وكذا في فتحه جُلولاء ومسيره إلى حُلوان فاتحاً لها كذلك في آذربيجان، ثمّ كانت صِفّين حيث ضُرب به المثل فيها بشجاعته وتضحيته وإقدامه.

وحسبُنا في التعرّف على شجاعة المرقال أن نقرأ لأمير المؤمنين عليه السّلام

قولَه فيه: (أمَا واللّه لو أنه ـ أي المرقال ـ وَلِيَها ـ أي ولـيَ مصر ـ ما خلّى لعمرو بن العاص وأعوانه الفَجَرة العَرْصةَ، ولمَا قُتل إلاّ وسيفه في يده) . ثمّ حسبنا إقرار معاوية بشجاعة المرقال، إذ لمّا تعاظمت عليه الأمور في صفيّن دعا قادته وأصحابه قائلاً: (إنّه قد غمّني رجال من أصحاب عليّ، منهم: سعيد ابن قيس في همْدان، والأشتر في قومه، والمرقال، وعَدِي بن حاتم، وقيس بن سعد ابن عُبادة في الأنصار) . وحينما رأى عمرو بن العاص وزير معاوية وشريكه في كفره الراية العظمى بيد المرقال قال لمعاوية مخاطبا إياه: (ويحك! إنّ اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة، وقد كان من قبل يُرقِل به إرقالاً، وانّه إن زَحفَ إنّه لَليوم الأطول لأهل الشام) .

وهذا الخوف والرعب من هاشم المرقال وشجاعته يفسّر لنا سرّ الفرح الذي غمر النفوس المريضة لمعاوية وأتباعه حين استُشهد المرقال رضوان الله تعالى عليه، حتّى قال معاوية مخفّفاً عن أهل الشام مرارة الهزيمة: (أبشِروا؛ فإنّ الله قد قتل من القوم ثلاثة: قتل عمّارَ بن ياسر وهو كان فتاهم، وقتل هاشماً وكان حمزتهم، وقتل ابن بُدَيل وهو قاعل الأفاعيل) .

بعض أقوال المادحين لهاشم المرقال

الأقوال في مدح هاشم المرقال كثيرة جدا تفوق حد الإحصاء في مثل هذا الاختصار، ولكن هذا لا يمنع من ذكر بعضها فيما يلي من الكلام:

١: فحين أراد أبو عبيدة بن الجرّاح أن يختاره على الرجّالة في وقعة اليرموك، قال: (أُولّيها إن شاء الله مَن لا يُخاف نكوله ولا صدوده عند البأس، أُولّيها هاشمَ بن عتبة بن أبي وقّاص).

٢: وفي ذكره وذكر عمّار بن ياسر وعبد الله بن بُدَيل.. قال الخوارزميّ: كانوا فرسان العراق، ومَردة الحرب، ورجال المعارك وحُتوف الأقران، وأمراء الأجناد.. وقد فعلوا بأهل الشام ما بقي ذكره على ممرّ الأحقاب) .

٣: وقال ابن عبد البَرّ فيه: (كان من الفضلاء الخيار، وكان من الأبطال البُهْم، فُقئت عينه يوم اليرموك، وشهد القادسيّة وأبلى فيها بلاءً حسناً، وقام منه في ذلك ما لم يقُم من أحد، وكان سببَ الفتح على المسلمين) .

شهادته

بعد تاريخ مشرق تليد وضّاء، وبعد هَشْم لأنوف الظلمة والطغاة، وبعد بلاء حسَن في حروب شتّى.. يُستشهَد المرقال هاشم ابن عتبة، وكان قد ثبت في أهل الحفاظ والنجدة، ومزّق صفوف الجيش الأمويّ في ساحة صفّين.. وعلى حين غفلة يحمل عليه الحارث بن المنذر التّنوخيّ لعنه الله فيطعنه طعنةً تبلغ جوفَه. لكنّه رضوان الله عليه لم يكفّ عن القتال، فقد حمل جراحاته وتقدّم، وقُطعت رِجله فجعل يقاتل مَن دنا منه وهو بارك على الأرض قائلاً: (الفحلُ يحمي شولَه معقولا) .

وكانت معه كوكبة متلألئة من قبيلة (أسلَم) قد آلَوا ألاّ يرجعوا أو يَفتحوا، فحملوا واجتلدوا، وقُتل هاشم بن عتبة المرقال وذو الكلاع. وقد أثّر فقدانه في أهل العراق أشدّ التأثير، وقبلهم أحزنَ أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السّلام حزناً شديد، فوقف عليه مفجوعاً، فدعا له وترحمّ عليه ورثاه وأصحابَه الشهداء، وكان عمّار بن ياسر قد استُشهد أيضاً في المعركة، فقال عليه السّلام:

جزى الله خيراً عُصبةً أسلميّةً
صباحَ الوجوهِ صُرّعُوا حولَ هاشمِ
إذا اختلَفَ الأبطالُ واشتبكَ القَنا

وكان حديثُ القوم ضربَ الجَماجم

وبكى عليه السّلام على المرقال وعلى عمّار، ودفنهما بثيابهما ولم يغسّلهما إذ هما شهيدان، وجعل عمّاراً ممّا يلي المرقال وهاشماً أمام ذلك مما يلي القبلة، وصلّى عليهما.

وقد بلغ هاشم المرقال رحمه الله أُمنيّته لقاء الله سبحانه والجنة.

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

عن الأصبغ بن نباتة أنه قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . عليه السلام . وهو يقضي بين الناس إذ أقبل جماعة ومعهم أسود مشدود الأكتاف، فقالوا: هذا سارق يا أمير المؤمنين، فقال . عليه السلام .:

(يا أسود سرقت؟).

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال:

(ثكلتك أمّك، إن قلتها ثانية قطعت يدك، سرقت؟).

قال: نعم، قال:

(ويلك أنظر ماذا تقول، سرقت؟).

قال: نعم، فعند ذلك قال عليه السلام:

(أقطعوا يده لأنه وجب عليه القطع).

قال: فقطع يمينه فأخذها بشماله وهي تقطر دماً، فاستقبله رجل يقال له ابن الكوّاء، فقال له: يا أسود من قطع يمينك؟ قال: قطع يميني سيّد المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين، وأولى الناس باليقين، وسيّد الوصيّين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . عليه السلام . إمام الهدى، وزوج فاطمة الزهراء ابنة محمد المصطفى، أبو الحسن المجتبى، وأبو الحسين المرتضى، المسابق إلى جنّات النعيم، مصادم الأبطال، المنتقم من الجهّال، معطي الزكاة، منيع الصيانة من هاشم القمقام، ابن عمّ الرسول، الهادي إلى الرشاد، الناطق بالسداد، شجاع مكّي، جحجاح وفيّ، بطين أنزع، أمين من آل حم و يس، وطه والميامين، محلّي الحرمين، ومصلّي القبلتين، خاتم الأوصياء، ووصيّ صفوة الأنبياء، القسورة الهمام والبطل الضرغام، المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل المبين، وصيّ رسول ربّ العالمين، المطفئ نيران الموقدين، وخير من مشى من قريش أجمعين، المحفوف بجند من السماء، علي بن أبي طالب . عليه السلام . أمير المؤمنين، على رغم أنف الراغمين، مولى الخلق أجمعين.

قال: فعند ذلك قال له ابن الكوّاء: ويلك يا أسود قطع يمينك وأنت تثني عليه هذا الثناء كلّه؟! قال: وما لي لا أثني عليه وقد خالط حبّه لحمي ودمي؟ والله ما قطعني إلا بحقّ أوجبه الله تعالى عليّ.

قال . ابن الكواء .: فدخلت إلى أمير المؤمنين . عليه السلام . وقلت له: يا سيدي رأيت عجباً . قال: (وما رأيت؟) قلت: صادفت أسوداً وقد قطعت يمينه، وقد أخذها بشماله وهي تقطر دماً . فقلت له: يا أسود من قطع يمينك؟ قال: سيّدي أمير المؤمنين، فأعدت عليه القول، وقلت: ويحك قطع يمينك وأنت تثني عليه هذا الثناء كلّه؟ فقال: ما لي لا أثني عليه وقد خالط حبّه لحمي ودمي، والله ما قطعها إلاّ بحقّ أوجبه الله تعالى. قال: فالتفت أمير المؤمنين . عليه السلام . إلى ولده الحسن وقال له: (قم هات عمك الأسود).

قال: فخرج الحسن . عليه السلام . في طلبه فوجده في موضع يقال له كندة، فأتى به إلى أمير المؤمنين . عليه السلام .، فقال له: (يا أسود قطعت يميكن وأنت تثني عليّ)! فقال: . يا مولاي . يا أمير المؤمنين وما لي لا أثني عليك وقد خالط حبّك لحمي ودمي؟ فو الله ما قطعتها إلاّ بحقّ كان عليّ ممّا ينجي من عاهات الآخرة.

فقال . عليه السلام .: (هات يدك)، فناوله إيّاها، فأخذها ووضعها في الموضع الذي قطعت منه، ثمّ غطّاها بردائه، وقام فصلّى . عليه السلام .، ودعا بدعوات لم تردّ، وسمعناه يقول آخر دعائه: آمين، ثمّ شال الرداء وقال: (اضبطي أيّتها العروق كما كنت اتّصلي).

قال: فقام الأسود وهو يقول: آمنت بالله، وبمحمد رسول الله، وبعليّ الذي ردّ اليد القطعاء بعد تخليتها من الزند، ثمّ انكبّ على قدميه وقال: بأبي أنت وأمي يا وارث علم النبوة.

وفي رواية عن الأصبغ بن نباتة: فأتيت أمير المؤمنين . عليه السلام . فأخبرته بمقالة الأسود، فتبسّم وقال: (يا أصبغ أما علمت أن لنا محبين لو سمّرنا أعينهم بالمسامير، وقرضنا لحومهم بالمقاريض، ونشرناهم بالمناشير، ما ازدادوا لنا إلاّ حُبّا)[1].

---

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ج٢، ص٧١.

اهتزاز الضمير من الأعماق!

جاء رجل إلى العلامة الشيخ محمد تقي المجلسي. المتوفى سنة ١٠٧٠هـ (والد الشيخ المجلسي صاحب الموسوعة المعروفة بحار الأنوار).

فقال: يا شيخ هل يمكنك أن تعالج مشكلتي مع جارٍ لي كثير الفسق والفجور، شارب للخمور، يجتمع مع أصدقائه في البيت ويجلبون معه الغانيات، ونحن نقاسي الأذى منهم حتى الفجر؟

قال الشيخ: أدع رئيسهم إلى العشاء، ولا تخبره بأني مدعوّ أيضاً.

ائتمر الرجل بأمر الشيخ، ففرح رئيس الفسّاق بانضمام الجار إليهم وفرح أصدقاؤه بهذا الكسب الجديد.

كان الشيخ جالساً هناك حينما دخل الرئيس ومجموعته ومرافقوه، فلما وقعتْ عينه على الشيخ فوجئ به وانزعج ولكنه كتم انزعاجه.

جلس بقرب الشيخ وأراد السخرية به ليُضحِكَ عليه أصحابه فقال: يا شيخ سجاياكم أفضل أم سجايانا؟

أجابه الشيخ: فليبيّن كلٌ منّا نمط سجاياه، عند ذلك نعرف سجايانا أفضل أم سجاياكم!

قال رئيس المجموعة: إنه لكلام معقول، فأما سجايانا أيها الشيخ إننا إذا أكلنا من طعام أحد، لا نكسر مملحته ولا نخونه (كناية عن أنهم يحسنون التعامل مع الذي يطعمهم ويحسن إليهم، كهذا الجار صاحب الدعوة وكان يريد بهذا الكلام أن يكسب صاحب الدعوة إلى نفسه).

فقال الشيخ: إنني لا أراك ملتزماً بكلامك هذا!

قال الرئيس: أنا وأصحابي كلنا ملتزمون بهذا الكلام.

فقال الشيخ: ألستم تأكلون من نعم الله وتعصونه؟!

فما أن طرقت هذه الكلمة سمع الرجل حتى أطرق رأسه إلى الأرض غارقاً في التفكير، ثم قام وخرج فتبعه أصحابه، فاسودّت الدنيا في عين صاحب البيت، خوفاً من الرجل وأصحابه، فقال للشيخ: لقد أغضبته، فسوف ينتقم مني، ما هذا الذي ورّطتني به يا شيخ، لقد كنتُ أبحث عن علاج لمشكلتي فتعقّدتْ الآن.

قال الشيخ: لقد وصل الأمر إلى هذا الحدّ، وننظر ماذا يحدث غداً ولا تخف.

وفي الصباح طُرِقَ باب دار الشيخ.

فلما فتح الباب وإذا برئيس المجموعة يبادر الشيخ بالقول: لقد تأثرت بكلامك البارحة، فها أنا جئت مغتسلاً من ذنوبي كلها، تائباً إلى الله تعالى، أريدك أن تعلمني أحكام الدين[1].

---

(١) قصص وخواطر للشيخ عبد المهتدي البحراني: ص١٢٧.

العوامل المؤدية إلى تكوين السلوك التعلقي عند الطفل

عندما يولد الطفل يكون مجهزاً وراثياً لكي يستجيب بطرق معينة للعالم من حوله. وهذا يعني، أنه يولد بنمط من التجهيزات الجسمية والنفسية، تجعله حساساً لأنواع معينة من الإثارة في محيطه، فالوجه الإنساني المتحرك مثلاً، يؤدي إلى «إطلاق» الابتسامة.

منذ أن يكون صغيراً. وابتسامة الطفل تربطه بأمه أكثر من أي شيء آخر، وتضفي على نفسها الحب والفرح، ومن خلال بكائه وثرثرته وضحكته وابتسامته يجذبها ويحتفظ باهتمامها، وكلما زاد اهتمامها به زادت ضحكاته وابتساماته، ومن الملاحظ أن الطفل حتى في أيامه الأولى يمكن استرضاؤه وتهدئته عن طريق الاتصال الاجتماعي، من تربيت على الظهر وحمل ومناغاة. إنه يستجيب للناس حتى في أسابيعه الأولى، بالرغم من عدم قدرته على التمييز بين شخص وآخر. فإذا اقترب منه أحد، يغير وضعه ويلاحقه بعينيه، كما يمد جسمه ويقف عن البكاء عندما يرى وجهاً أو يسمع صوتاً. هذه الأشياء جميعها تدعم السلوك التعلقي عنده.

وعندما ينهي الطفل شهره الرابع، يسلك عموماً بالطريقة الودية ذاتها تجاه جميع الناس، وذلك كما كان يفعل سابقاً. إلا أنه يستجيب لأمه على نحو أكثر وضوحاً، فهو يبتسم لها، ويقتفي أثرها بعينيه، أكثر مما يفعل ذلك مع الآخرين. ويبكي عندما تغادر الغرفة ويود اللحاق بها، ويتضح سلوكه التعلقي هنا في عجز الموجودين في الغرفة عن استرضائه أو تهدئته. وتبدو ظاهرة الأمن عند الطفل عندما تكون الأم بجانبه، فتراه مثلاً يشعر بحرية استكشاف بيئته. كما يمارس نشاطاته بمزاج مسترخ غير متوتر.

وفي حال عدم وجودها معه في الغرفة يمكث في مكانه، وتعد المرحلة التي تتكون فيها تعلقات الطفل الأولى، مرحلة حساسة، فقد يؤدي تمزق الروابط العاطفية إلى انعكاسات خطيرة عليه. وإن وجود شخص أو أكثر، إلى جانب الطفل، أثناء الأشهر الثماني عشرة الأولى من حياته، أمر هام جداً. وهذا يعني وجوب وجود شخص واحد على الأقل ليوفر الرعاية والإثارة الغنية للطفل، والتي تأخذ شكل الرؤية والسمع واللمس، ويرى بعض العلماء أنه يجب أن تمتد فترة ملازمة الطفل إلى أكثر من ثمانية عشر شهراً، لأن سلوك التعلق عند معظم الأطفال يستمر في الظهور بشكل قوي ومنتظم حتى نهاية السنة الثالثة، ويبدو خلال هذه المرحلة خوف الطفل من الانفصال عن أمه.

ولهذا على الأم أن تأخذ هذه الأمور بعين الاعتبار عندما تريد وضع الطفل في الحضانة، فالأطفال عموماً، غير قادرين قبل نهاية السنة الثالثة على الشعور بالأمن في أمكنة غريبة، حيث تحل شخصيات أخرى محل الأم، كالأقارب أو المعلمات، ففي هذه السن فقط أي سن الثالثة يبدأ

الأطفال في تكوين شخصياتهم المستقلة والمنعزلة جزئياً.

دور الأم في مساعدة الطفل على الاستقلال

الأم الواعية هي التي تساعد طفلها على الاستقلال الذاتي، لتعوده تدريجياً الانفصال عنها. ولكن الانفصال المبكر بين الطفل وأمه والذي يحدث قبل الأوان ينعكس على صحة الطفل النفسية. إن الانفصال المبكر عن الأم والذي يحدث قبل الأوان يسبب لاشك، تمزقاً في صحة الطفل الانفعالية، وسلوك الطفل في السابعة من عمره يتحدد طبقاً لنوع الرعاية اليومية التي كان يتلقاها أثناء مرحلة الضياع. ويوجد كما نعلم نوعان من الخبرة المبكرة، مرتبطان بسلوك القلق المبتدي في الطفولة المتأخرة. ويتجسد النوع الأول من هذه الخبرة، في الرعاية اليومية غير التي تقوم بها الأم، حيث يقوم أفراد آخرون عوضاً عن الأم، برعاية الطفل. وقبل نهاية العام الثاني من حياتهم، أما النوع الثاني من هذه الخبرة، فيتجسد في عدم ثبات الشخص القائم برعاية الأطفال اليومية، كأن يعنى بالطفل شخص ما، لفترة معينة، ثم يستبدل بآخر لفترة أخرى... وهكذا. وقد تبين أن هؤلاء الأطفال يتصفون بكثرة الطلبات وبشدة التعلق بأمهاتهم، كما أنهم أكثر عرضة لقلق الانفصال من الأطفال الذين تلقوا الرعاية على أيدي أمهاتهم في منازل أسرهم. ويتضح نمط هذا القلق عند البنات بشكل خاص، بينما يظهر عند الصبيان من خلال عدوانيتهم الزائدة واللامبالاة بالعقاب.

وتستمر هذه الصفات مع التقدم في العمر، بحيث تنزع البنات نحو القلق والعصبية، بينما ينزع الصبيان نحو الجنوح وسوء الخلق. وبذلك يتبين لنا أن الانفصال المبكر والرعاية غير المستقرة توقع الاضطراب في توازن علاقات الطفل مع الأفراد الذين يقومون مقام الأم. الأمر الذي يؤدي به إلى شدة التعلق والحساسية الزائدة تجاه النظم التربوية أو المشاكسة والتبلد.

إن دخول الطفل إلى مدرسة الحضانة يؤدي إلى اضطراب في حياته النفسية، ويزداد تعلقه بأمه عندما يراها، ليس ذلك فقط إنما إذا كانت الأم من النوع الذي يهدد طفلها بإبعاده عن الأسرة فإن ذلك سيزيد من تعلقه بها.

ويقودنا الحديث هنا إلى نمط آخر من الانفصال الذي يحدث بين الأم وطفلها بالرغم من وجود الأم بالمنزل، وهو انفصال نفسي، يتأتى عن النبذ ونعني هنا القسوة أو الإهمال في معاملة الطفل، مما يؤدي إلى شعوره بأنه غير محبوب ولا قيمة له. ومن الملاحظ أن الأم التي تعامل طفلها بهذه الطريقة تزرع التواكلية بنفس طفلها مهما حاولت معاقبته على ذلك.

وهنالك تطرف مناقض لهذا الوضع يتمثل بحماية الأم الزائدة التي تتمثل في نوم الطفل مع أمه لعدة سنوات، وفي ملاحظتها له بشكل زائد، ومراقبته باستمرار، ومنعه من القيام بأي عمل يحتاج إلى استقلال ومجازفة. واهتمام زائد بصحته عندما يمرض، وتنفيذ كل رغباته، كل ذلك من أجل محاولة إطالة طفولته والاحتفاظ بارتباطه بها. ومن الملاحظ أن هذه الحماية الوالدية الزائدة تتناوب بين حالة التسلط على الطفل وحالة الخضوع له.

وتعدّ هذه الحماية الزائدة من الأسباب التي تؤدي إلى ظهور المشكلات الانفعالية عند الأطفال. والأم الواعية والذكية هي التي تتجنب نبذ طفلها نبذاً تاماً، وتتجنب أيضاً الحماية الزائدة، وتحتل تربيتها مكاناً وسطاً بينهما، لأن النبذ والحماية الزائدة يؤديان إلى وجود طفل متواكل، وكما أقول لك دائماً إن الوقاية خير من العلاج. لذلك علينا أن نقي الطفل التواكلية الزائدة، ولكن تبقى الوقاية أفضل من العلاج.

لاشك وأن هنالك توازناً بين الأم المتسمة بالحماية الزائدة والأم المتسمة بالنبذ. فالأم المتسمة بالحماية الزائدة تنشىء طفلاً متعلقاً بها وغير آمن، وبمعنى آخر طفلاً متواكلاً لأن حمايتها الزائدة له تمنعه من الانفصال العاطفي عنها. ومن القيام بتجربة الأشياء بنفسه، أما الأم المتسمة بالنبذ فإنها تنشىء طفلاً تواكلياً أيضاً وقلقاً بنفس الوقت، لأنها تهدده بالهجر والعزل من أجل ضبط سلوكه. لذلك لا سيطرة عليه ولا تسامح زيادة عن اللزوم مع الطفل.

فإذا حدث هذا التوازن أدى إلى نمو شخصية الطفل بشكل جيد، وإلى مساعدته على تكوين علاقات اجتماعية مرضية.

لذلك يجب أن تكون الأم حازمة ومحبة بنفس الوقت، وذلك من خلال توجيه نشاطات الطفل بمزاج عقلاني تحدده المسائل التي تنطوي عليها أوضاع تربوية معينة، لنقدر الطفل، ونفسح له مجالاً ليعبر عن نفسه. ولنعلمه احترام السلطة والواجب، ومجاراة القواعد والنظم السائدة. والاعتراف بحقه كإنسان راشد، ولنحترم اهتمامه ونشجعه عليها. إن أفضل أسلوب يمكن أن نتبعه هو أسلوب القوة العقلاني، فلا نتخذ قراراتنا على أساس رغبات الطفل الفردية، وعلى أساس القبول الاجتماعي فقط، وليس على أساس أن الكبار معصومون عن الخطأ. صحيح أن اتباع هذا الأسلوب ليس بالعملية السهلة، ولكن لنحاول الاقتراب منه قدر الإمكان. لأن الأم التي تتصف بهذا النوع من الحزم تكون أكثر نجاحاً في تربية أطفالها من غيرها. وتشجّع في طفلها السلوك المستقل والمسؤول والهادف.

فقدرة الطفل على الاستقلال تنمو من خلال مراعاة حاجاته ومساعدته بطريقة ودية في الانتقال من طور إلى آخر، فالأم الواعية لا تحاول كبح لطفل، ولا تقوم مقامه، بحيث تعمل له كل شيء. فمن الصعب، طبعاً، ترك الطفل ليعمل جاهداً وحده والاكتفاء بمجرد المراقبة من الخلق، إذ من المناسب التدخل أحياناً، ومديد العون له بيد أن التدخل المستمر يعوق نمو كفاءة الطفل واكتفائه الذاتي. إذا لابد من تزويد الطفل بقاعدة أمنية حتى يستطيع من خلالها اكتشاف الحياة. وحتى تمهد له الطريق لكي ينمو كموجود مستقل[1].

---

(١) تربية الطفل مشكلات وحلول، للدكتورة سولى مرتضى، ص٧١ ـ ٧٥.

توجد كواكب النجوم الأ

سنة الاكتشاف ١٩٩٥م

ما هذا الاكتشاف؟ توجد كواكب ـ حتى كواكب مثل الأرض ـ حول النجوم الأخرى.

من المكتشف؟

ميشيل مايور (Michel mayor) وديديه كويلوز (Didier Queloz).

لماذا يُعَد هذا الاكتشاف ضمن المائة العظمى؟

لطالما كان أحد أعظم الأسئلة التي راودت البشرية: هل نحن لوحدنا؟ منذ زمن بعيد والعلماء يتساءلون: هل نحن النظام الشمسي الوحيد في امتلاكه للكواكب ـ والوحيد بكواكب يمكن أن توفر ظروف الحياة؟ أصبح وجود كواكب أخرى تدعم ظروف الحياة أمراً ممكناً بعد اكتشاف كواكب حول نجوم أخرى في الفضاء الشاسع.

يُعدّ اكتشاف نظم شمسية أخرى أمراً بالغ الأهمية بالنسبة للفلكيين، فهو يسمح لهم باختبار نظرياتهم حول أصل الكواكب والنظم الشمسية. لقد غيّر اكتشاف الكواكب البعيدة من طريقة إدراكنا لموقعنا في الكون تغييراً جوهرياً.

كيف جاء هذا الاكتشاف؟

في القرن السادس قبل الميلاد، كان العالم الإغريقي أناكسيماندر (Anaximander) أول من افترض وجود كواكب أخرى، وفي عام ١٦٠٠م، لاقى الكاهن والفلكي الإيطالي جيوردانو برونو حتفه حرقاً من قبل الكنيسة الكاثوليكية جزاء الإقرار بالفكرة ذاتها. تغيّر الزمان والمكان، وشهدت أواخر الأربعينات من القرن المنصرم بحثاً مضنياً ودؤوبا للفلكيين الأمريكيين عن كواكب تدور في أفلاك نجوم أخرى مستعملين تلسكوبات عملاقة لهذا الغرض.

ولد ميشيل مايور (Michel Mayor) عام ١٩٤٢م، واستهواه عالم النجوم والفلك منذ نعومة أضفاره. أنضم مع شريكه أنتوني دوكوينري إلى كوكبة الفلكيين الباحثين عن أجسام صغيرة في الكون، لكن مايور لم يبحث عن الكواكب، بل عن الأقزام البنية ـ أجسام معتمة باردة يعتقد أنها تتكون كالنجوم ولكن تفشل في النمو بالكبر الذي يؤهلها لاحتواء اندماج الهيدروجين، وبالتالي لا تتقد أبداً بالفرن النجمي وناره كبيرة جداً على الكواكب، صغيرة جدا على النجوم، كانت الأقزام البنية بمثابة غرابة مجرية.

على أية حال، كان الفلكيون يعانون من مشكلة: لا تقدر التلسكوبات على رؤية الكواكب والأقزام البنية كونها لا تشع ضوءاً، بدلاً من ذلك، بحث الباحثون عن ترنحات جانبية ضئيلة في حركة النجم ناتجة عن قوة السحب التجاذبي لكوكب كبير (أو قزم بني).

حاول البعض تقصي هذا الترنح بقياس موقع النجم بعناية على مر شهور أو سنوات، بينما تعامل البعض الآخر (ومن ضمنهم مايور) مع الترنح باستعمال انزياح دوبلر وقياس انزياحات صغيرة على المخطط الطيفي في لون الضوء الآتي من النجم

حول أخرى

والتي تنجم عن تغييرات في حركة النجم باتجاه الأرض أو بعيداً عنها.

عقب وفاة دوكوينوي عام ١٩٩٣م، اشترك مايور مع الطالب في الدراسات العليا ديديه كويلوز وطوّرا مطيافا جديداً أكثر حساسية للبحث عن الأقزام البنية، كان مطيافهما قادراً على قياس تغيرات بالسرعة بصغر ١٣م/ثا ـ ذاتها الحاصلة تقريبا في حركة شمسنا بفعل قوة السحب التجاذبي لكوكب المشتري.

لكن افترض الجميع بأن كواكب عملاقة كهذه ستحتاج سنوات لتدور في فلك نجم ما (كما تفعل في نظامنا)، وبهذا فإن الترنح بفعل قوة سحب كوكب كهذا سيحتاج سنوات من البيانات لملاحظته. لم يخطر لمايور قط أن يستعمل مطيافه الجديد ويستهلك بضعة شهور قيّمة من الوقت على تلسكوب للبحث عن كوكب.

منطلقين اعتباراً من نيسان (أبريل) عام ١٩٩٤م، ومستعملين مرصد مقاطعة هايوت جنوبي فرنسا، اختبر مايور وكويلوز مطيافهما على ١٤٢ نجما قريبا، آملاً في تقصي ترنح ما يدلهم على وجود جسم مجاور ضخم مثل قزم بني. في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٩٥م، وقعت عين كويلوز على نجم واحد، بيغ ـ٥١ (Peg - ٥١) (النجم الألمع الواحد والخمسون في مجموعة بيغاسوس)، لقد اهتز! لقد اهتز أماماً وخلفاً كل ٤,٢ يوما.

فحص مايور وكويلوز ضوء النجم للتأكد من عدم نبضه، كما فحصا فيما لو كان لبقع من الشمس أن تخلق ترنحاً ظاهرياً كهذا، أو أن النجم بيغ ـ ٥١ كان في حالة انتفاخ وتقلص توحي للمراقب بأنه في حالة اهتزاز، لكن لا شيء كان سبباً وراء اهتزاز بيغ ـ ٥١ سوى جسم كبير ما يدور في فلكه.

بناء على مقدار اهتزاز بيغ ـ ٥١، قاما بحساب كتلة الجسم وأدركا بأنه صغير جدا ليكون قزما بنيا، لابد أنه كان كوكبا! لقد اكتشفا كوكباً خارج مجموعتنا الشمسية.

بحلول عام ٢٠٠٥م، تم تحديد موقع بضع مئات من الكواكب الأخرى ـ عملاقة غازية تسرع حول مدارات بحجم العطارد، بعض الكواكب الصخرية الدافئة، مدارات فاترة الطقس، بل وحتى بعض الكواكب الهاوية في الفضاء دون أن تصادق نجماً فتدور في فلكه، الأرض بالتأكيد ليست وحيدة، حظي مايور وكويلوز بشرف اكتشاف برهان على هذه الحقيقة الأخّاذة.

حقائق طريفة: لو امتلك نجم واحد من كل عشرة نجوم كواكب (وتشير المعلومات الحالية أن هذا هو الحاصل على أقل تقدير)، وبالمحصلة، لو كان للنجم ثلاثة كواكب على الأقل، ولو كان كوكب واحد فقط من كل مائة كوكب صخرياً بطبيعته وبمدار مساند للحياة (ونشير الاكتشافات الحديثة إلى حقيقة هذا الاحتمال)، فالنتيجة ستكون ٣٠٠٠٠٠ كوكب قادر على دعم الحياة في مجرتنا لوحدها![1]

(١) يقدر إجمالي عدد المجرات في الكون بـ(١٢٥ بليون) مجرة، طبقا لهذه الحسابات فإن الكون يحوي ٣٧٥×١٠[٢] كوكباً مؤهلاً لإيواء الحياة على الأقل!

صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة كتاب السقيفة وفدك لمؤلفه أبي بكر الجوهري، جمعه وحققه وعلق عليه الشيخ باسم مجيد الساعدي